وهو ان اعطانا بعض الطالحين غلبوا على المتقين حينا لكن العاقبة للمتقين قالوا لم يبق فينا الصبر
اذ طالت الاذية علينا اوذينا بقتل الابناء واستحياء النساء من قبل ان تأتينا لئلا نخلو ومن
بعد ما جئتنا لئلا نتبع قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم اي قرب رجاء ان يهلك بكم عدوكم
بمبالغة في اهلاك اوليائه ربكم ورجاء ان يفعل ما هو اشد عليهم وانفع لكم وهو ان يستخلفكم في
الارض اقامة لاوليائه مكان اعدائه والولاية والعداوة بحسب الاعمال فينظر كيف تعملون امثل
اعمال الاولياء او الاعداء ثم اشار الى انه وان قرب اهلاك الاعداء فلم يهلكهم مرة بل قدم
لهم ما ينذرهم عنه فقال ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين اي بقطع المزارع سنين ونقص من
الثمرات لعلهم يذكرون انه بكفرهم الذي يوعدون عليه ما هو اشد من ذلك واقل ما فيه الشام
بالكفر لكنهم لغاية خبثهم عكسوا الامر فاذا جاءتهم الحسنة اي السعة والخصب وردا معها اذا وكان
لكثرتها فلا شك في وقوعها قالوا لنا هذه اي نحن مخصوصون باستحقاقها وان تصبهم سيئة اي جدب
وبلاء واورد فيها ان والمضارع لندورها فهي كالمشكوك وقوعها يطيروا اي يتشاءموا بموسى
ومن معه الا انما طائرهم اي شؤمهم كفرهم ومعاصيهم فانها اسباب الآفات عند الله لجريان
سنته باضافتها عندها ولكن اكثرهم لا يعلمون فرأوا الشؤم الاتيان بالآيات وتتابعها
لكونها سحرا اتفق على شؤمه ولذلك قالوا مهما اي اي شيء تأتنا به من آية في زعمك وهي سحر في
الواقع لتسحرنا اي لتسحر عقولنا بها فتشتبه الامر علينا فما نحن لك بمؤمنين فلم تأتهم بمحض الآيات
بل بآيات تتضمن البليات التي تكاد تلجئ الى الايمان فارسلنا عليهم الطوفان اي بما طاف
باماكنهم ودخل بيوتهم فقاموا فيه الى تراقيهم ولم يدخل بيوت بني اسرائيل المشتبكة ببيوتهم قطرة ماء
فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا فنؤمن بك فكشف عنهم ونبت لهم من الكلأ والزرع ما
لم يعهد فنكثوا وارسلنا عليهم الجراد فاكلت الزروع والثمار ثم اخذت باكل السقوف والابواب
والثياب ففزعوا اليه فخرج الى الصحراء فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي
فنكثوا وارسلنا عليهم القمل اكلت البقية ووقعت في الاطعمة ودخلت بين اثوابهم وجلودهم
فمصتها ففزعوا اليه فكشف فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر وارسلنا عليهم الضفادع بحيث لا
يكشف طعام الا وجدت فيه وكانت تملأ مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي وافواههم
عند التكلم ففزعوا اليه وتضرعوا فاخذ عليهم العهود فدعا فكشف عنهم فنكثوا وارسلنا عليهم الدم
فصارت مياههم دما حتى كان القبطي والاسرائيلي يجتمعان على اناء فيصير ما يلي القبطي دما وما
يلي الاسرائيلي ماء ويمص القبطي من فم الاسرائيلي فيصير دما في فمه ارسل الله عليهم هذه البليات حال
كونها آيات مفصلات فصل في الابتلاء بها بين الطائفتين عظمتين من المحقين والمبطلين ولا ينافي

مثل

مثل ذلك في السحر فكانت بحيث لا يشك عاقل في انها من الله لكنهم لم ينقادوا واليها فاستكبروا
ولا وجه لاستكبارهم سوى انهم كانوا قوما مجرمين ومن مبالغتهم في الجرم اخلافهم وعد الايمان
الذي وعدوه عند الاضطرار وذلك انهم لما وقع عليهم الرجز اي العذاب في ضمن هذه الآيات
قالوا يا موسى ادع لنا ربك الذي رباك فاعطاك هذه الآيات بما عهد عندك من قبول
دعوتك لئن كشفت عنا الرجز بدعائك لنؤمنن منقادين لك ولنرسلن معك بني اسرائيل
الذين ارسلت لطلبهم فلما كشفنا عنهم الرجز لا دائما بل الى اجل هم بالغوه ليتأملوا فيه اذ
لا يتأتى مع الاضطرار اذا هم ينكثون اي يفاجئون النكث من غير تأمل فانتقمنا منهم اي
قصدنا تعذيبهم على الابد فاغرقناهم في اليم اي البحر العميق اذ غرقوا في بحر الكفر بانهم كذبوا بآياتنا
التي هي بحار انوار الهداية فتكذيبها مغرق بحار الضلالة ويلقي في غرق بحارها انهم كانوا
عنها غافلين واغرقنا معهم جاههم التي اثروه على حيوتهم اذ واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
بالاستعباد وقتل الابناء واستحياء النساء مشارق الارض اي ارض مصر وهي الشام ومغاربها
التي باركنا فيها بالخصب وسعة العيش فحصل لهم الجاه والمال من غير تعب زيادة في التقوية
بعد التضعيف وتمت كلمة ربك الحسنى وهو قوله ونريد ان نمن الى قوله يحذرون على
بني اسرائيل بما صبروا على الايمان في تلك الشدائد فظهروا اظهورا كليا ولم يبق لاعدائهم
شيء من الظهور اذ دمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه من الصنائع اللطيفة التي يبقى بها اسمهم
وما كانوا يعرشون اي يرفعون بناءه كصرح هامان مما كانوا يذكرون به عن بعد ثم اشار
الى انهم مع تمام المحاسن لهم ظهرت قبائحهم في ابتداء زوال ضعفهم وهو مجاوزة البحر اذ
تغيرت قلوبهم بمجرد رؤية الاصنام فقال وجاوزنا ببني اسرائيل البحر الذي اغرق فيه
اعداؤهم ارادوا الغرق في بحر كفرهم فاتوا على قوم يعكفون اي يقيمون على عبادة اصنام لهم قالوا
يا موسى اجعل لنا الها اي مثالا واحدا كليا للذي نعبده فنتقرب به اليه كما لهم آلهة اي امثلة مختلفة
لاسمائه اشركوا لكثرتها ونحن نبقى على التوحيد لوحدته قال انكم قوم تجهلون يتجدد جهلكم كل حين
ان هؤلاء وان اتخذوا امثال اسمائه فلا يتم فيها التمثيل لانه متبر اي مكسر ما هم فيه اي في عبادته
لكونه حادثا واسماؤه مع قدمه ولا ظهور لالهيته فيها لانه باطل ما كانوا يعملون لانه
صدر من باطل فانى يكون الها واجب الوجود الحق من كل وجه فكانهم قالوا المثال لا يجب
ان يكون كالممثل من جميع الوجوه قال الظاهر في المظاهر ليس مثالا له لوجوب كونه قريبا من
الممثل والظاهر في المظاهر في غاية البعد منه فهو اولى باسم الغير أغير الله ابغيكم الها ولم يجعله
مظهرا كاملا وانما المظاهر الكاملة انتم اذ هو فضلكم على العالمين فلو صحت عبادة المظاهر لحق

Copyright © King Saud University